٢ — واسعةً كانت طيبةُ قلبه، وبخاصة كانت نفسه، وبقدر تلك الطيبة وذلك الإخلاص كافأته السماء

لقد جاد على البؤساء بكل ما يملك، وما كان يملك إلا دمعة. أنالته السماء كل ما تمنى، وكل ما تمناه كان صديقاً

٣ — لا تحاول أن تفض الغلاف عن حسناته، أو أن توقظ سيئاته من مكمنها المخيف. فقد اجتمعت الحسنات إلى السيئات متساوية فى أمل مضطرب مفزع: أمل من أوى إلى أحضان أبيه، أحضان ربه

* * *

ولو علم « جراى » يوم أن كتب تلك المرثية الخالدة أنها ستفتح له أبواب المجد إلى الأزل لعلم أن فتاه ما كان للمجد أو للحظوظ أن تنساه، وفى نفسه هذا المزيج العجيب من قوة الفكر وروعة التصور ورقة العاطفة

تلك الرقة التى حملته على أن يحصر كل ما يتمنى أن تهبه السماء فى صديق. وفى الحق أنى لا أدرى أنبل من نفس تستطيع أن تخلص الصداقة، والصداقة أبعد المشاعر عن غرائزنا التى نجدها عادة فى أسس كل شعور قوى.

قهرت الصداقة الحب فى نفس جراى الصافية الرقيقة، بحيث لو أننى أردت أن أضع على لسانه عبارة عن صداقته لهوراس ولبول، لما وجدت خيراً من كلمة مونتين montaigne الخالدة، وقد فقد صديقه La Beotie لابويسيه: « لقد كنا نقتسم كل شىء مناصفة، حتى فقدته فأصبحت اليوم لا أصيب خيراً إلا أحسست أنى أختلس من صديقى العزيز النصف الذى كان يؤول إليه ».

وأما اليوم، فليس لنا إلا أن ندعو الله أن يبارك تلك الأرواح الطاهرة فى ملكوت رحمته.

محمد مندور

من وحى الديوان

ليلى

للأستاذ ابراهيم العريض

قلتُ يوماً لابنتى ليلَى – وقدْ   أخذَتْ ديوانَ قيسٍ تتغنّى
فكأنَّ الحسنَ أولاها يداً   فأرادتْ باسمه أن تتجنّى –
« طبت بالليلاى نفساً فاتهمى   ليس كالشاعر فى الأرض معنّى
هوَ من أحلامه فى جنّةٍ   فإذا حدّثَ عنها قيل جُنّا
كلّنا طائرُهُ فى قفصٍ   إنما يطلقُهُ الجدودُ منّا
لوْ درَى الضاحكُ فى سكرته   أنه يشربُ دمعاً لتأنّى
والليالى يتطاولنَ إذا   سقطَ النّجمُ الذى نوّرهنّا
قمنَ فى عافيةٍ من حبّه   يتباهَيْنَ به ما بينهنّا
يحسبُ الناسُ جواهُ أدباً   قلّ منْ شاركه فيما أجنّا
ثمّ يطوى ليلهُ صبحٌ فلا   هو للحبّ ولا من حبهنّا »

* * *

فأجابتنى غناءً فى الصّبا   بالذى حيّرَ من أكبرُ سنّا
« لا تسلنى – فوجودى عدمٌ –   طائرُ الخلدِ هنا كيف اطمأنّا
هوَ يهفو للجمالِ ربما   خفيتْ آثارُه فى الكون عنّا
فإذا شاهدَهُ فى روضةٍ   أو سحابٍ مثّل الإحساس فنّا
والذى يطربُنا من نغمٍ   مسترقاً كلّما الليلُ أجنّا
لم يكنْ غيرَ نياط الحبّ فى   قلبه كالوترِ الحسّاسِ رنّا
هوَ فى نشوته يفضى بها   نغماتٍ تملأُ الآفاقَ حسْنا
لا تقلْ دنياهُ ظلٌّ زائلٌ   فشعاعُ الحبّ فيها ليسَ يفنى
لوْ تجلّتْ قدرةُ الخلّاقِ فى   لفظةٍ صاغَ لها الشاعرُ معنى »

* * *

وانحنتْ فوقَ يدى تلثمُها   خجلاً حين رأتْ رأسى يحنى
ثمّ قالتْ وهىَ تلهو بالذى   قلدتهُ دونَ أن تحملَ منّا
حسبُ عقدى أن حوَى واسطةً   ما لها فى الدرِّ صنوٌ فتثنّى
عشتَ للشعرِ ولى يا أبتِى   أنتَ للشعرِ ولى ما أتمنّى

(البحرين)   ابراهيم العريض